الاستعارة في ضوء النظرية المعرفية للايكوف وجونسون
- ترجمة آيات الميزان في معاني القرآن الكريم نموذجا -

Metaphor in the light of the Cognitive Theory of Lakoff and Johnson:
Examples from the Translation of the Meanings of the Noble Quran as a Model

حلومة التجاني[1*] Hallouma TIDJANI ، راضية تومي[2] Radhia TOUMI

[1] معهد الترجمة، جامعة الجزائر2، الجزائر، tidj.h2006@yahoo.fr

[2] جامعة أم البواقي، الجزائر، universlumiere@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2019/12/06 تاريخ المراجعة: 2020/02/29 تاريخ النشر: 2020/06/30

ملخص باللغة العربية:

تعدّ الاستعارة من أكثر أنواع البيان بروزا في مباحث البلاغة واللّغة فقد حظيت بالصدارة لما لها من القدرة على الاستيعاب الجمالي في تبليغ الخطاب إلاّ أنّها بتطور الأبحاث، تجاوزت مفهومها المجازي فلم تعد مجرّد ركنين يحذف أحدهما لتبلّغ معنى معيّنا وإنّما أصبح موقعها الفكر قبل اللّغة.

ترنو هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الاستعارة حين تنتقل من لغة إلى أخرى أثناء الترجمة، مستعنين بما وصل إليه كل من جورج لايكوف ومارك جونسون في نظريتهما المعرفية في هذا المجال متخذين من آي القرآن الكريم عيّنة للتطبيق خاصة تلك المتعلقة بالموازين وعالمية العدل الذي تمثله.

كلمات مفتاحية: القرآن الكريم؛ الاستعارة؛ المقاربة المعرفية؛ الترجمة.

Abstract:

Al-Isti'ara (metaphor) constitutes one of the most prominent figures in the Arabic Rhetoric. It has gained a leading position for its aesthetic characteristics in the transmission of discourse. However, with the progress of research, it has gone beyond its metaphorical concept, it means no longer just two constituents (arkans) which are the linking particles and the tenor or vehicle are deleted to convey a special meaning, but is now considered more as a cognitive device than a linguistic one. Thus, the most appropriate approach to analyze and study it is perhaps the cognitive approach.

*المؤلف المرسل: حلومة التجاني، tidj.h2006@yahoo.fr

In this research study, we will try to understand the Qur'anic metaphor in the light of the findings of George Lakoff and Mark Johnson on the one hand and Newmark's efforts in dealing with metaphor on the other in order addresses the following research question: How could the cognitive approach help in understanding and translating metaphor?

Key Words: The Noble Quran; Al-Isti'ara (Metaphor); Cognitive Approach; Translation.

سننطلق مبدئيا من فهم البلغاء العرب للاستعارة طالما سنجعل مدونتنا القرآن الكريم؛ فالمتتبع لتاريخ البلاغة العربية يمكنه أن يقف على تعريف أبي عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ الذي عاش القرن الثالث للهجرة من أوائل الذين عرّجوا على مفهوم الاستعارة فقال "... وطفقت، يعني ظلّت تبكي على عراصها عيناها، عيناها. هَا هُنا للسّحاب، وجعل المطر بكاءً من السّحاب على طريق الاستعارة، وتسمية الشّيء باسم غيره إذا قام مقامه" (الجاحظ، 1998، صفحة 153).

أما ابن رشيق في كتابه العمدة في محاسن الشعر وآدابه فيقول في باب الاستعارة أنّها "أفضل المجاز، وأوّل أبواب البديع، وليس في الشّعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها، والنّاس مختلفون فيها، منهم من يستعير للشيء ما ليس منه ولا إليه" (ابن رشيق القيرواني، 2001، صفحة 270) ويتابع فيذكر أن "الاستعارة إنما هي من اتّساعهم (يقصد العرب) في الكلام اقتدارا ودالة، ليس ضرورة، لأنّ ألفاظ العرب أكثر من معانيهم، وليس ذلك في لغة أحد من الأمم غيرهم، فإنّما استعاروا مجازا واتّساعا. ألا ترى أنّ للشيء عندهم أسماء كثيرة وهم يستعيرون له مع ذلك؟" (ابن رشيق القيرواني، 2001، صفحة 275) وجاء في النكت في إعجاز القرآن أنها "تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللّغة على جهة النّقل للإبانة (الرماني، الخطابي، والجرجاني، 1976، الصفحات 85-86)" ثم يعقد الرّماني مقارنة خفيفة بين الاستعارة والتشبيه لينتهي إلى القول أنّ مخرج الاستعارة مخرج ما [ليست] العبارة له في أصل اللّغة، ليعرج بعدها على أركان الاستعارة وهي: مستعار ومستعار له ومستعار منه إلى أن يقول "وكلّ استعارة فلابدّ لها من حقيقة وهي أصل الدّلالة على المعنى في اللّغة... فكلّ استعارة لابدّ لها من حقيقة ولابدّ من بيان لا يفهم بالحقيقة نحو ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ الفرقان 23، ولا يبتعد الجرجاني كثيرا عن هذا التعريف فيقول: "إعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لّلفظ أصل في الوضع اللّغوي معروفا تدلّ الشّواهد على أنّه اختص به حين

وضع، ثمّ يستعمله الشّاعر أو غير الشّاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية." (الجرجاني، 2001، صفحة 27).

يستنتج ممّا سبق أن الاستعارة في البلاغة العربية القديمة لا تنظر إلى الاستعارة إلاّ من حيث أنّها تعبير وضع في غير أصله.

لا يخفى عن الدارسين للبلاغة أن الاستعارةَ أربعةُ مداخل هي: المدخل النحوي والمدخل الفلسفي والمدخل الانثروبولوجي والمدخل الجشتالتي (أبو العدوس، 2007، صفحة 139) فهي من الجانب النحوي تعرف على أنّها "اختيار معجمي تقترن بمقتضاه كلمتان في مركب لفظي اقترانا دلاليا ينطوي على تعارض - أو عدم انسجام - منطقي. ويتولد عنه بالضرورة مفارقة دلالية semantic deviance تثير لدى المتلقي شعورا بالدهشة والطرافة، وتكمن علّة الدهشة والطرافة فيما تُحدثه المفارقة الدلالية من مفاجأة للمتلقي بمخالفتها الاختيار المتوقع " (مصلوح، 2002، صفحة 194). إذ ننقل خاصية عنصر من مركب لفظي إلى آخر، ويكون مركبا نحويا باعتبار موقعه من المركب اللفظي قابلا للتحليل مثل: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾ (مريم 4) (مركب نحوي من فعل + فاعل) ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (الإسراء 24) (مركب نحوي من مضاف ومضاف إليه). (مصلوح، 2002، صفحة 194).

بلغت الاستعارة في تاريخ البلاغة شأوا كبيرا فقد أوْلاها أرسطو Aristote اهتماما خاصا فعالجها معالجة فلسفية، ومن هنا يكون المدخل الفلسفي (أبو العدوس، 2007، صفحة 189) إذ يرى أن الاستعارة هي نقل المعنى الحرفي المتعارف عليه إلى معنى مجازي، ويكمن نفعها عنده - أي أرسطو- في أنّها تبيّن الكلام وتوضّح علائقه؛ فالاستعارة استخدام مصطلح ملموس للتعبير عن مفهوم مجرد بطريق الاستبدال التناظري دون وجود قرينة فعلية أو صريحة تدل على الشّبه أو المقارنة.

لقد تراوحت الاستعارة في الفكر الفلسفي بين مؤيد ورافض، ففلاسفة التفكير العلمي ينتقدون الاستعارة انتقادا لاذعا إذ يرى بعضهم كتوماس هوبز Thomas Hobbes أن الاستعارة انحراف في استخدام الكلمات، واللغة الحقيقية هي الوسيلة الكافية للتعبير عن المعنى بشكل دقيق ومثله جون لوك John Locke يرى أن البلاغة عموما واللّغة المجازية تحديدا لا تستخدم إلاّ لإدخال الأفكار الخاطئة للذهن، أما نتشه Nietzsche فقد انتصر للاستعارة ورأى أنّ فهمها واجب

وأنّ اللّغة بمفاهيمها الاستعارية أصبحت عرفا لأنّ استعاريتها قد نسيت. (أبو العدوس، 2007، صفحة 190).

وبالعودة إلى الفارابي وفي كتابه الموسوم بالعبارة الذي يقول فيه "والأسماء منها مستعارة ومنها منقولة ومنها مشتركة ومنها ما يقال بالتواطؤ... فالاسم الذي يقال على الشيء بالاستعارة هو أن يكون اسما ما دالا على ذات شيء راتبا عليه دائما من أوّل ما وضع فيلقب به في الحين بعد الحين شيء آخر لمواصلته للأوّل بنحو ما من أنحاء المواصلة أي نحو كان من غير أن يجعل راتبا للثاني دالا على ذاته" (الفارابي، 1976، صفحة 19)، ويضيف أن الأسماء المستعارة مجالها الخطابة والشّعر وينفي أن تكون في أيّ شيء من العلوم أو في الجدل (الفارابي، 1976، صفحة 23)، نجد أن الفلاسفة لم يبتعدوا في فهمهم للاستعارة عن البلاغيين، والبلاغيين، وإن عبّروا عنها على أساس العلاقة بين مقدمتيها من حيث قرب المعاني أو بُعدها وفكّ المتلقي لشفراتها وإدراك العلائق بينها.

فيما يرى الإنثروبولوجيون أن الثّقافة مَعين اللّغةِ إذ إن هذه الأخيرة تتأثر بما هو موجود في هذه الثقافة ،مثال ذلك كلماتٌ نحو:

قشبية khashabia A cloak like woolen wrap for men

إبزيم ibzim Jewelry that the woman puts on her shoulders

برازيل أوروبا (التي هي البرتغال) - خبزيست - حيطست... إلخ استعيرت للدّلالة على معنى ما وجد في المجتمع أو هي تمثيل وتصوّر لمعاني أوجدتها ثقافة الشّعوب التي تنتمي إليها تلك اللّغة وتلك الاستعارات.

وتعبير مثل "هذا يثلج صدري" قد يجد غرابة في مجتمع يعبّر عن الحالة ذاتها بـ cela me réchauffe le cœur / it warms my heart، لا لشيء إلاّ لأنّ العرب يشتاقون إلى البرودة التي حرموا منها بسبب شدّة حرّ مناخهم فيما يحنّ الغرب إلى الدفء الذي حرموا منه بسبب برودة الطقس عندهم، فالمقصود كما نرى ينطلق من المختلف ليرسو عند المعنى المستهدف.

هذا يثلج صدري ——— اِرتياح

Cela me réchauffe le cœur / It warms my heart

فالمجازات بما فيها الاستعارات هي إنعكاس لتجارب اجتماعية وثقافية بيْدَ أن هذه المجازات "تتحوّل إلى أدوات تخدم نوعا مفضّلا آخرَ من المجاز هو التضاد Antithesis، وفيه يقابل المحتوي بالمحتوى والشيء الثقافي بالشيء الطبيعي ...أما المجازات المرسلة المفصلة المجردة فتُمكّن التضاد من التّحول إلى chiasmus أو ما يدعوه ليفي شتراوس بالانقلاب المتناظر. وهذا مثال ممتاز على هذا النّوع (يتكلّم فيه عن الصّور الثقافية الغربية، خاصة الفرنسية المتعلقة بالحيوانات الأليفة" إذ كانت الطّيور كائنات بشرية استعارية والكلاب كائنات بشرية كنائية فقد نرى في الماشية كائنات غير بشرية وفي الخيول كائنات غير بشرية استعاريا" (ستروك، 1996، صفحة 29).

أما المدخل الجشتالتي "فيركز على العلم المعرفي، وهو العلم الذي يجمع ما عرف حول العقل والمبادئ العديدة النفسية، واللّغوية، والأنثروبولوجية، والفلسفية وعلم الحاسوب، ويحاول هذا العلم الإجابة عن الأسئلة الآتية ما العقل؟ كيف نجعل تجاربنا ذات معنى... هل يستخدم جميع الناس النظام المفهومي نفسه؟" (أبو العدوس، 2007، صفحة 235).

وعلى هذا الأساس يرى كلّ من لاكوف G. Lakoff وجونسن M. Johnson أن «جزءا هاما من تجاربنا وسلوكاتنا وانفعالاتنا استعاري من حيث طبيعته. إذا كان الأمر كذلك فإنّ نسقنا التّصوري يكون منبنيا جزئيا بواسطة الاستعارة. بهذا لن تكون الاستعارات تعابير مشتقة من حقائق أصلية بل تكون هي نفسها عبارة عن حقائق » (لايكوف وجونسون، 2009، صفحة 3).

إن فكرة أن الاستعارة ـ بمفهومها الجديد ـ مادة لغوية *تقوم على التشابه فكرةٌ لاغية*، فموقع الاستعارة التّصورُ وإدراك العلاقات التي تنتجها تجاربنا في الحياة، فأي تشابه بين رؤوس البشر وبين الثمرات إذا نضجت في قول الحجاج: إني أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها. لقد أخذ الحجاج هذا التّصور من الطبيعة فمتى نضجت الثمار كان موعد قطافها وهي صورة تثبتها الطبيعة، وما جرى في ذهن الحجاج أنه ربط تلك العلاقات التي يجدها في الطبيعة ليشكّل منها صورة أخرى تكمن في نضج الثمرة وقطفها كذلك الرؤوس في تصوّر الحجاج فبدل أن تسقط الثمرة بمفردها يكون من النافع أن تمتد اليد إليها فتقطفها وهكذا هي الرؤوس.

وهكذا فإنّ العلم المعرفي يتناول الاستعارة من زاوية أخرى لا ننكر أن الاجتهادات السابقة فيها قد كوّنت تراكمات كان من نتاجها ما يسمى اليوم الاستعارة التصويرية، أما عن

العلوم المعرفية فهي "ميدان جديد ترافق مع ما عرف عن الذهن في تخصّصات أكاديمية متعدّدة: في علم النفس، واللّسانيات، والانثروبولوجيا، والفلسفة، وعلم الحاسوب. وهو ينشد إجابات مفصلة عن هذه الأسئلة: ما هو التّعقل؟ كيف نعطي معنى لتجربتنا؟ ما هو النسق التّصوري وكيف يتمّ تنظيمه؟ هل يستعمل الناس كلهم النسق التّصوري نفسه ؟ إن كان الأمر كذلك، فما هو هذا النسق ؟ وإن لم يكن كذلك فما هو المشترك تحديدا في طريقة تفكير الكائن البشري؟ [هذه] الأسئلة ليست بجديدة، ولكن [نوع] الإجابات الراهنة عنها هي كذلك" (بن دحمان، 2015، صفحة 25)، فالعلوم المعرفية باختصار هي تلك العلوم التي تبحث في ميكانزمات عمل الذهن أثناء الإدراك أو الانتباه أو الانتقال من لغة إلى أخرى أو التعبير على نحو ما، هذا الأخير الذي تهتم به اللّسانيات المعرفية ومن بينها الاستعارة - والمجاز بشكل عام - كتصوّر ومظهر من المظاهر الذهنية، فالتفكير الاستعاري حسب لاكوف وجونسون "يسود حياتنا العقلية أو الذهنية، سواء الواعية منها أو غير الواعية. وعدّا (أي لاكوف وجونسون) أنّ آليات التفكير الاستعاري المستخدمة في نظم الشّعر هي نفسها الحاضرة في أكثر تصوراتنا المشتركة أو العامة حول: الزمن والأحداث والسببية والعواطف والأخلاق والأعمال التجارية على سبيل المثال لا الحصر، بل إن الاستعارات التّصورية امتدت أيضا في عملية بناء واجهات الكمبيوتر مثل استعارة "سطح المكتب"،"غرف الدردشة"، "دور المزاد العلني"، "حدائق الملاهي"... وغيرها من التطبيقات" (بن دحمان، 2010، صفحة 198).

اعتبر كلّ من المؤلفين السابقين "أن الجزء الأكبر من نسقنا التّصوري العادي استعاري من حيث طبيعته" (لايكوف وجونسون، 2009، صفحة 21) وضربا لذلك أمثلة توضح مذهبهما ومنها *الجدال حرب*، (لايكوف وجونسون، 2009، صفحة 22)، إذ نستعمل عبارات الحرب للدلالة على الجدال نحو: دافع عن آرائك - ستنتصر عليه بفضل حنكتك... إلخ، ومثلها جميع التصورات حين نسقط الصحة على *الفوق* أو *التحت* كقولنا: صحته في صعود للدلالة على العافية وصحته في نزول للدلالة على المرض، وطبعا تخضع هذه التّصورات لمحيط الانسان وثقافته، ما يجعل الأمر أثناء الترجمة مختلفا إلى حدّ ما. فاستعارة اللون الأخضر لليد في الثقافة الفرنسية Avoir la main verte / Have a green thumb بمعنى القدرة على الزراعة ليس هو تماما في الثقافة العربية إذ تدل اليد الخضراء على اليد التي تقابل المعروف بالمعروف. وذلك أن الأخضر يرتبط بديهيا بالزراعة لكنه أيضا رمز للمعروف فكلما زرعنا كافأتنا الأرض بثمارها.

وجدير بالذّكر أن صاحبي كتاب الاستعارات التي نحيا بها Metaphors We Live لاكوف وجونسون قد جعلا الاستعارة التصويرية ثلاثة أنواع هي:

1- الاستعارة الاتّجاهية: Orientational Metaphor (لايكوف وجونسون، 2009، صفحة 33) وتتعلق بالاتجاه الفضائي الذي تجسّده ثنائيات منها: (فوق/ تحت - أمام /وراء - داخل/خارج) وأمثلة ذلك:

- أنا في قمّة السّعادة (فوق)
- سقطت معنوياته (تحت)
- تنتظرك أخبار سعيدة (أمام)
- ذهب الظمأ وابتلت العروق (وراء)
- لا تعش في قوقعة الأحزان (داخل)
- شرد عن السرب (خارج)

2- الاستعارة الأنطولوجية: Ontological Metaphor وتتعلّق هذه الأخيرة بجعل المجرد شيئا ماديا محسوسا، فبقدر تفاعلنا مع الأشياء الفزيائية وخاصة أجسامنا ننتج استعارات أنطولوجية نحو:

- أنا هش جدّا
- دخلت السفينة في مجال رؤيتي الآن
- الشجرة تخفي مجال رؤيتي
- لقد خدعتني الحياة (لايكوف وجونسون، 2009، الصفحات 47-53)

3- الاستعارة البنيوية: Structural Metaphor وهي التي تتأسس على ترابطات وتوافقات نسقية داخل تجربتنا (لايكوف وجونسون، 2009، صفحة 22) وتنطلق من نسق تصوّري معيّن لنعيد بناءه في نسق مغاير جزئي ومثال ذلك ماجاء به لاكوف "*الجدال* حرب" (لايكوف وجونسون، 2009، صفحة 81) فتجربة الجدال تحيل على نسق الحرب من حيث أنّنا نستعمل ألفاظ الحرب للتعبير عن الجدال نحو:

- لابد أن تخطط جيدا لرؤيتك حتى تنتصر عليه
- حججك قوية وحججه ضعيفة
- ينبغي أن تختار الوقت المناسب كي تناظره

- عدد موافقيك كبير مقارنة بعدد موافقيه

هكذا يتّضح للقارئ أو السّامع أن الاستعارة أكثر من جانب جمالي يمكن أن نعتمده لتقديم أمر ما؛ إنها لا تأتي من عدم بل هي بناء تصوّريّ يستقي عناصره من واقعنا الذي نعيشه على أساس من التّوافقات والتّرابطات. سنحاول في الجزء التالي من البحث تطبيق هذه النظرية على نموذج من آي القرآن الكريم وترجمة معانيها، ، علما أن استعارات القرآن الكريم تطرح كلّ يوم تصوّرا جديدا لا يخرج عن الواقع بل تؤيّده وتؤكّد حقائقه العلمية من ذلك قوله تعالى في سورة مريم الآية 4 ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾. فقد أثبتت الدّراسات العلمية الحديثة أن زيادة مادة بيروكسيد الهيدروجين H2O2 التي تزداد مع تقدم السنّ هي مادة حارقة وقابلة للانفجار (الكحيل) أيضا وبهذا تكون الاستعارة القرآنية استعارة استشرافية لا تحدّها الحدود.

استعارة "الميزان" في القرآن الكريم:

وردت استعارة "الميزان" في العديد من الآيات القرآنية، نذكر منها قوله تعالى:

- ﴿والسَّمَاءَ رَفَعَها وَوَضَع المِيزَان(7)ألاَّ تَطْغَوا في الميزانِ(8) وأَقِيموا الوَزْن بالقِسْط ولا تُخْسِروا المِيزَان(9)﴾ الرّحمن

- ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون(8) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ(9)﴾ الأعراف.

- و سندرس في ما يلي من خطوات هذه الاستعارة في الآيات 7 و8 و9 من سورة الرحمن، وهي استعارة تصورية حسب ما ذهب إليه لايكوف وجونسن.

- الميزان بمعناه الحقيقي:

- الميزان: "اسم آلة من وزَنَ: آلة تُوزن بها الأشياء لمعرفة مقدارها من الثقل" (قاموس الكتروني) إذن فهو آلة تستخدم لقياس الكتلة أو لوزن جسم من الأجسام المختلفة. ويَستعمِل الميزان الكثيرُ من النّاس ومنهم التّجار الذين يزنون البضاعة لزبائنهم. ولطالما ارتبطت هذه الآلة عبر العصور بأمانة التاجر وغشه،فإما أن يكون مع الميزان وإما أن يكون ضده، ولا عجب أن تكون هناك دائما زمرة من التّجار غير الأمناء الذين يظلمون الناس فيغشون في الميزان كي يأخذوا مالا إضافيا مقابل البضاعة دون وجه حق. وفي القديم اشتُهِر أهل مدين بالغش في الميزان، وهو الأمر الذي نهاهم الله سبحانه عنه (سعيد، 2007).

الاستعارة التصورية والميزان:

وفقا لنظرية الاستعارة التصورية التي صاغها كل من لايكوف وجونسن التي تقول إن الاستعارة التصورية تنبني على مجالين تصوريين، يسمى الأول "المجال المصدر" ويسمى الثاني "المجال الهدف" وبعد قراءة الآيات الكريمة السابقة الذكر(الرحمن: الآيات 7 و8 و9، الأعراف: الآيتان 8 و9) يتضح لنا أننا أمام استعارة من هذا النوع هي استعارة "الميزان" أو بعبارة أوضح استعارة "ميزان العدل"، حيث يُعَدّ "الميزان" المجال التصوري المصدر و"العدل" المجال التصوري الهدف.

لإدراك المفهوم المجرّد "للعدل" يتم إسقاطه على المجال التصوري "الميزان". ذلك أن عناصر المجال التصوري المصدر مرتبطة بالواقع والتجارب الأساسية الحياتية المبنية على آلة الميزان، وهي آلة متداولة في الحياة اليومية. هذه التجارب تتناول مفاهيم القياس والتقدير والوزن الدقيق أو المنقوص أو الزائد بكيفية تصنع تصوراتنا حولها. ويدرك الناس معنى التّعرض للظلم نتيجة الغش في الميزان وآثاره على حياتهم كما يستطيعون فهم العدالة والحق بناء على ما عاشوه من تجارب متعلقة بالعناصر الآتية: التاجر والزبائن والميزان والغش في الميزان، أشياء أو بضاعة موزونة،أمانة التاجر.

وفي ما يلي مخططان توضيحيان للمجالين التّصوريين: المصدر والهدف قبل تحقق الاستعارة التصورية "ميزان العدل" (مخطط -1-) وبعدها (مخطط -2-):

 آلة الميزان في الحياة اليومية للإنسان ↓ المجال التّصوري (المصدر) - تاجر - زبائن - بضاعة - وزن البضاعة - الغش في الميزان - عدم الغش في الميزان ...إلخ	العدل مفهوم مجرّد مفهوم العدل ↓ المجال التّصوري (الهدف) - الله/العادل - البشر - معامل - الحكم بالحق - عكس الظلم - القصد في الأمور ...إلخ

مخطط توضيحي -1-

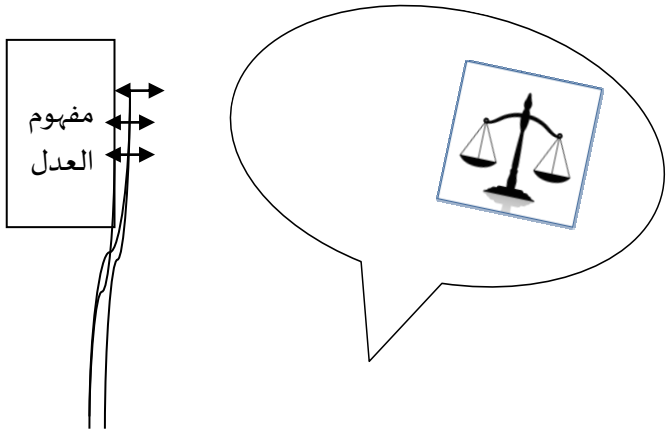

ترابطات بين المجالين التصوريين "الميزان" والعدل

مخطط توضيحي-2-

ولفهم الترابطات بين المجالين في المخطط التوضيحي-2- والتي تدل عليها الأسهم التي تربط بينهما، نورد في ما يلي جدولا يضم بعضا من هذه الترابطات أو التوافقات التي استقيناها من الآيات السابقة الذِكر.

المجال المصدر: الميزان	المجال الهدف: العدل
مستعمِل الميزان	الله
التاجر	الإنسان
وزن البضاعة	تقييم أفعال الإنسان
الأشياء الموزونة	أفعال الإنسان
موازين ثقيلة	كثرة الحسنات/ الفلاَح
موازين خفيفة	كثرة السيئات/ الخُسْران

تحليل الاستعارة التصورية "ميزان العدل" في القرآن:

نتناول الآن الآيات القرآنية الكريمة 7 و8 و9 من سورة الرحمن التي وردت فيها استعارة الميزان وسنشرحها استنادا إلى تفسير العلامة محمد الطاهر بن عاشور في مؤلفه *تفسير التحرير والتنوير*. (بن عاشور، 1984)

﴿والسَّمَاءَ رَفَعَها وَوَضَع المِيزَان(7) ألاَّ تَطْغَوا في الميزانِ(8) وأَقِيموا الوَزْن بالقِسْطِ ولا تُخْسِروا المِيزان(9)﴾ سورة الرحمان.

يقول محمد الطاهر بن عاشور:" ورفع السماء يقتضي خلقها. وذُكر رفعها لأنه محل العبرة بالخلق العجيب.[...]. والميزان: أصله اسم آلة الوزن، والوزن تقديرُ تعادل الأشياء وضبط مقادير ثقلها وهو مِفعال من الوزن، [...]، وشاع إطلاق الميزان على العدل باستعارة لفظ الميزان للعدل على وجه تشبيه المعقول بالمحسوس." (بن عاشور، 1984، صفحة 237) ويؤكد ابن عاشور

أن الميزان هنا يراد به العدل (بن عاشور، 1984، صفحة 238). أي أنّ لفظ الميزان في هذا السياق له معنى العدل.

كما أنّ المقصود من الميزان احتمالان: ما يشمل العدل وما يتعلق بتقدير ووزن الأشياء في معاملات التجارة كالبيع والشراء" (بن عاشور، 1984، صفحة 238).

ومعنى الطغيان في (ألاّ تَطْغوا): "دحض الحق عمدا واحتقارا لأصحابه، فمعنى الطغيان في العدل الاستخفاف بإضاعته وضعف الوازع عن الظلم. ومعنى الطغيان في وزن المقدرات تطفيفه" (بن عاشور، 1984، صفحة 239).

من هنا يتضح لنا أن لفظة الميزان استعيرت لتدل على العدل غير أن الأمر لا يتعلق باستعارة الهدف منها خلق جمالية لغوية بل التفكير في مفاهيم مجرّدة ومحاولة فهمها انطلاقا من تجارب يعيشها الإنسان في الواقع. فالميزان آلة استخدمها الناس منذ القدم لقياس الموازين وضبط كميات البضاعة المبيعة. هذه التجربة الحياتية المعيشة بين التاجر (صاحب الميزان) والمشتري تضع بين أيدينا أدوات مادية يمكن أن نفهم على ضوئها مفهوما مجردا وأساسيا في القرآن الكريم هو "العدل". فالميزان "الشيءالمادي" أصبح يمتلك سلطة تفسيرية لِما هو مجرّد (لايكوف وجونسون، 2009، صفحة 54). ومن هنا نستنتج أن استعارة الميزان في القرآن ومن خلال الآيات التي سندرسها هي استعارة أنطولوجية استنادا إلى التقسيم الذي وضعه لايكوف وجونسون.

الترجمة الفرنسية للآيات السابعة والثامنة والتاسعة من سورة الرحمن:

اخترنا الترجمة الفرنسية للقرآن الكريم (Le Coran, traduction du sens de ses versets de Jean-Louis Michon) التي أنجزها جان لوي ميشون Jean-Louis Michon وقد وُلد في عائلة كاثوليكية سنة 1924 في مدينة نانسي Nancy ، ترجم ميشون اسم سورة الرحمن بِـ Le Miséricordieux ونسخ أمام هذا اللفظ الفرنسي اسم السورة العربي بالحروف الفرنسية كما يلي:

Le Miséricordieux- Al-Rahmân

.7. Le ciel, Il l'a élevé et Il a établi la balance.

.8. Afin que vous ne trompiez pas sur le poids.

.9. Evaluez donc la pesée avec exactitude et ne faussez pas la balance. (Le Coran, traduction du sens de ses versets de Jean-Louis MICHON)

نقارن الترجمة الفرنسية مع النص الأصلي للآيات القرآنية والهدف من ذلك هو تأمل ودراسة ترجمة الاستعارة التصورية "الميزان" إلى اللغة الفرنسية:
﴿و السَّمَاءَ رَفَعَها وَوَضَع المِيزَان(7) ألاَّ تَطْغَوا في الميزانِ(8) وأَقِيمُوا الوَزْن بالقِسْط ولا تُخْسِروا المِيزَان(9)﴾ الرّحمن

يمكن لنا أن نتساءل لماذا نعثر في اللغات المختلفة على تعبير موافق للاستعارات التصورية، والجواب هو أنه من المنطقي الاستنتاج - انطلاقا من نظرية الاستعارة التصورية - أن عددا كبيرا من هذه الاستعارات هي في الواقع عالمية (universelles/ univesal). ويفسّر لايكوف وجونسن هذا بقولهما إن تفكير الإنسان يمتاز "بالجسديَّة" (corporéité / corporeality). فهو تفكير مُعَلَّم بالتجارب التي تعيشها أجسادنا والعالم الفيزيائي المحيط بنا. (Keromnes, 2014)

فالفكر الإنساني إذا مرتبط بتجربة الجسد مع ذاته ومع ما يحيط به في هذا العالم مما يجعل طريقة التفكير والتعبير مبنية أساسا على هذه التجربة. فالنوع البشري مهما تعددت ثقافاته تتشابه تجارب أقوامه إلى حد كبير جدا على عدة مستويات (Keromnes, 2014).

لترجمة استعارة تصورية يمكن أن نسلك سبيل التجربة الإنسانية "العالمية" أو ما يقاربها في الثقافة واللغة المصدر. هذا ما نلاحظه مع استعارة الميزان التي هي تصور "العربي" للعدل. فهل هو تصور عالمي؟ أو بالأحرى، هل يوجد تصور مشترك للثقافة العربية والفرنسية عن العدل؟

بالفعل، تستعمل الثقافة الفرنسية استعارة الميزان أيضا لفهم واستيعاب مفهوم العدالة لكن يجدر القول بأن هناك تفاصيل استعارية أخرى تُمثل في مجموعها تصور "العدالة" لدى الفرنسيين.

ففي الثقافة الفرنسية، شيّد الفرنسيون تماثيل لِتيميس Thémis وهي إلهة إغريقية تمثل العدالة. تيميس هي الزوجة الأولى لِزوس Zeus وكانت تمثل العدالة الإلهية للقانون. وهي استعارة عن العدل والقانون. وتُرسم الإلهة تيميس عموما (أو تُشيَّد) مع رموز أخرى للعدالة هي الميزان والسيف وعُصابة العينين.

صورة-1- (Les symboles de la justice)

ويتم تمثيل العدالة غالبا وهي تحمل ميزانا باليد اليسرى تزن به القوى المتضادة فى قضية ما. ويعني ذلك أن سلطة الحكم تنبني على فحص وتقييم ووزن حجج الأطراف المختلفة من أجل تحقيق العدالة. (Les symboles de la justice)

صورة -2- (Les symboles de la justice)

يرمز الميزان في الديانات المُوَحِّدة إلى حساب يوم الآخر. وتُعدّ حكاية يعقوب -وهو شخصية مذكورة في الإنجيل- مظهرا لإشكالية الشر الذي يهاجم العدل. ولقد عبّر النبي يعقوب عن طلبه للعدالة أمام الله بقوله: "لِيَزِنِّ الله على موازين عادلة وسيعرف نزاهتي"

« Que Dieu me pèse sur des balances justes et il connaîtra mon intégrité » (Ministère de la justice française)

« God weigh me on righteous scales and he will know my integrity » (French Ministry of Justice)

صورة-3-(Les symboles de la justice)

في الآية 7 من سورة الرحمن في الترجمة الفرنسية نقرأ: Il a établi la balance . واعتمادا على ما ذكرناه سابقا، فإننا ندرك أن La balance لدى الفرنسيين هي أداة تُمكِّن من فهم تصور العدالة وهذا من خلال التجارب الحياتية التي تكون محورا فيها. صحيح أنها جزء من صورة كبرى لتيميس التي تمثل العدالة ولكن العدالة هنا مرتبطة باستعارات أخرى مبنية على رموز أخرى هي جزء من الاستعارة الكلية. دون أن ننسى أن كلا الديانتين الإسلام والمسيحية تعتبران أن الميزان يرمز إلى الحساب الذي يكون يوم القيامة، وهو اليوم الذي يُحاسب فيه الناس على أفعالهم.

إنَّ la balance استعارة تصورية تُفهم من خلالها العدالة la justice في الثقافة الفرنسية ولدى المواطن الفرنسي وهي في رأينا مناسبة لترجمة الاستعارة التصورية "الميزان" في القرآن.

بالنسبة إلى الآية 8 من سورة الرحمن بترجمتها الفرنسية نقرأ:

Afin que vous ne trompiez pas sur le poids

نعتقد أن استعارة La balance هنا تسير بانسجام داخل نسقها التصوري في الثقافة الفرنسية باعتبار أن من يغش في الميزان هو إنسان مخادع يخفي الحقيقة فينجرُّ عن ذلك ظلم للزبون وتَعَد على حقوقه. ولقد رأينا أن تيميس تستعمل الميزان من أجل تحقيق العدالة. أما من يستعمل الميزان لغرض سرقة مال أو حق الآخر وخداعه فهو شخص منتهك للعدالة. كما نلاحظ، فهذه مفاهيم عالمية تُفهم بالطريقة ذاتها تقريبا.

غير أننا نود إضافة ملاحظة حول قوة الاستعارة العربية باستعمالها الفعل "طغى" وقد رأينا في ما سبق كل ما تشمله كلمة طغيان من تصورات فهي التطفيف في المقادير وهي أيضا احتقار لأصحاب الحق واستخفاف بالعدل. وربما نرى هنا أن النسق التصوري أكثر غنى في الثقافة العربية بالنسبة لاستعارة الميزان.

نصل الآن إلى الآية 9 من سورة Le Miséricordieux- Al-Rahmân

Evaluez donc la pesée avec exactitude et ne faussez pas la balance

واصل المترجم احترام النسق التصوري لهذه الاستعارة في ترجمته باعتبار ما يقوم به التاجر أو الشخص الذي يَزِنُ البضاعة من سلوكات وأفعال عند البيع والشراء. ويتوجه الله تعالى هنا إلى هؤلاء الأشخاص فيأمرهم بأن يزِنُوا بدقة avec exactitude/with accuracy وألاّ يغشوا في الميزان. والاستعارة التصورية La balance تمنح القارئ أدوات أخرى لإدراك مفهوم العدل انطلاقا من تجربة فيزيائية.

في الأخير، نعتقد أن ترجمة ميشون استعارة "الميزان" بالاستعارة الفرنسية La balance كان مُوَفقا إلى حد كبير فقد وظّف استعارة عالمية أو لِنَقُلْ مشتركة بين الثقافتين العربية والفرنسية تُعبِّر عن سيرورة التفكير وشكل السلوك لدى المجتمعين بكيفية متقاربة جدا.

المصادروالمراجع:

أولا: المراجع العربية

- أبو العدوس، ي .(2007) .*التشبيه والاستعارة منظور مستأنف* .(éd. 1)عمان ,الأردن :دار المسيرة.
- أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني. (2001). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تحق محمد عبد القادر أحمد عطا (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دارالكتب العلمية.*
- الجاحظ، أ .ع .(1998) .*البيان والتبيين تحق عبد السلام محمد هارون* .Vol) ا لجزء الأول .(القاهرة :مكتبة الخانجي.

- الجرجاني، ع .ا .(2001) .*أسرار البلاغة تحق محمد الفاضلي* .(éd. 3) بيروت ,لبنان :المكتبة العصرية.
- الرماني، الخطابي & الجرجاني، ع .ا .(1976) . ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحق. محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام دار المعارف بمصر ط *1976* 3ص ص .(éd. 3) *86-85* القاهرة , مصر :دار المعارف.
- الفارابي، أ .ن .(1976) .*كتاب المنطق –العبارة -تحق محمد سليم سالم ،دار الكتب ، 1976* ،ص .*19* مصر، مصر :دار الكتب.
- أيوب سعيد. (2007). *انحرافات قوم شعيب عليه السلام*. تاريخ الاسترداد 18 مارس، 2019، من هدى القرآن:

https://www.hodaalquran.com/details.php?id=9046

- 8-بن دحمان عمر . (2010). قراءة في كتاب الاستعارات التي نحيا بها. (مخبر تحليل الخطاب، المحرر) *مجلة الخطاب*(6)، الصفحات 212-197
- بن دحمان، ع .(2015) .*نظرية الاستعارة التّصورية والخطاب الأدبي* .(éd. 1)القاهرة، مصر : رؤية للنشر والتوزيع.
- ابن عاشور، م .ا .(1984) .*تفسير التحرير والتنوير* Vol.27)الجزء .(تونس، تونس :الدار التونسية للنشر.
- ستروك، ج .(1996) .*البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا*) .م .عصفور، (.Trad الكويت، الكويت :عالم المعرفة.
- عبد الدائم الكحيل. *أسرار الإعجاز العلمي*. تاريخ الاسترداد 21 مارس، 2019، من أسرار الإعجاز العلمي:

http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-22-17-58/820-2013-01-15-01-11-44

- لايكوف، ج.، & جونسون، م .(2009) .*الإستعارات التي نحيا بها*) .(éd. 2)ع .ا .جحفة، (.Trad المغرب :دار توبقال للنشر.

- مصلوح، س .ع .(2002) .*في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية* .(éd. 3)القاهرة :عالم الكتب.

- معجم الكتروني. *المعاني*. تاريخ الاسترداد 21 مارس، 2019، من المعاني: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-

ثانيا: المراجع الأجنبية

- Dictionnaire Français. Consulté le 18 mars 2019, https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/m%C3%A9taphore/50889?q=m%C3%A9taphore#50780 (Dictionnaire Français en ligne)

- Keromnes, Y. (2014). *HAL*. Consulté le 18 mars 2019, sur HAL archives-ouvertes.fr:https://hal.archives-ouvertes.fr/hal 00944651/document

- Michon, J-L, *Le Coran, traduction du sens de ses versets de Jean-Louis MICHON*. (sans, sans sans). Consulté le 18 mars 2019, sur Le Noble CORAN: http://www.lenoblecoran.fr/jean-louis-michon/

- Ministère de la justice française. Consulté le 18 mars 2019, http://www.justice.gouv.fr/histoire-et-patrimoine-10050/les-symboles-de-la-justice-21974.html

- *Les symboles de la justice*. Consulté le 18 mars 2019, sur La Maison de la justice et du droit: http://www.justice.gouv.fr/histoire-et-patrimoine-10050/les-symboles-de-la-justice-21974.html